

## القصة في الأدب العربي

للأستاذ نغرى أبو السمود

حب تتبع الحوادث وحكايتها مركب في الطبع الانساني ، ولكن القصة كانت آخر صور الأدب ظهوراً ، فلم تعرفها الآداب القديمة ولم تظهر في الآداب الأوربية الحديثة إلا أخيراً ، ولذلك أسباب منها الوهم الذي وقرّ في نفوس الأدباء المتقدمين وإن يكن يبدو لنا اليوم غلظه وانحما : أعني توهم أن القصة إن هي إلا أجبولة أكاذيب لا يليق بالأديب الراق أن يلهو بحوكها ، وأن القصص مرتبة من التأليف سهلة يستطيعها كل من رامها فلا يجمل بالأديب القدير أن يتلى إليها

ومن ثم كان العرب يؤثرون الأخبار التاريخية والأدبية ومخصوصها بالحفظ والرواية مها خالطها التحريف ، لا اعتبار أنها حقيقة لا اختلاق ، وكثرت بينهم كتب التواريخ والسّير دون كتب القصص ، ومن ثم أيضاً لم يسلك سبيل القصص من الأدباء المجددين إلا من كان له غرض آخر دون القصص يوم قراءه أو يوم نفسه أنه الغاية التي إليها يقصد : إما بإعطاء القصص منزى وعظيماً كما في كتاب كليلة ودمنة ، أو بالباسه ثوباً تشيياً من الصناعة البلاغية كما في مقامات الهمداني والحريري ، بينما تركت الأفاقيص المجردة للعامة الذين يفشو بينهم القصص في كل العصور نتيجة لذلك الميل الطبعي في الانسان ، وتداول بينهم أساطير المردة والسحرة ووقائع الأبطال الغازين ومخاطرات التجار والملاحين وزنادر الظرفاء والمتموهين

يبدأ أن القصة إن انعدمت من الآداب اليونانية والرومانية القديمة ومن الآداب الأوربية الحديثة الى عهد قريب ، فقد قامت مقامها عند تلك الأمم الرواية التمثيلية التي تؤثر في النفوس لا من طريق الميل الطبعي الى القصص وحده ، بل من طريق أخرى هي ائيل اى محاكاة الأشخاص وتقليد الحركات ، ومن طريق ثالثة هي التوب الخيالي الشعري الذي أسبغ على تلك الروايات التمثيلية .

ثم التفتت رويداً رويداً الى أحوال المجتمع فتناولت وصف شؤونته وتصوير أخلاق أفرادها ، أما العرب فلم تقم لديهم لا القصة المقروءة ولا الرواية التمثيلية ، فالأم يمزى ذلك ؟ يعزى الى أمرين : أولها ايجابي هو موقف أدباء العربية من مجتمهم ، وثانيها سلبى هو مكانة الشعر لدى العرب

فكتاب العربية وشعراؤها عاشوا دائماً بنتجوة عن مجتمهم لا يشتركون في تقلباته السياسية والاجتماعية ، ولا يعمرون عن شعوره وحاجاته ، ومن ثم ندر الأدب الوطني في العربية وإن أكثر الأدب العصبي ، وندر الشعر الاجتماعي ، وكان جل شعر الشعراء فردياً يعبر عن عواطفهم وحاجاتهم الشخصية ويفيض بدم منافسهم وأعدائهم الشخصيين ومدح أولياء نعمتهم من الكبراء والأمراء الذين يعتمدون عليهم دون الشعب ويتنخون رضام قبل رضا الشعب ، فلم يكن هناك تواصل وتجاوب بين الأدباء ومجتمهم ولا رغبة لدى الأدباء في معالجة شؤون المجتمع وتحليلها ومحاولة إصلاح قاسدها عن طريق أدهم ، فلم يتم في العربية أمثال أديسون وسقيل ودكتر وجزروردي من الأدباء الانجليز الذين جعلوا اصلاح الأخلاق أو ترقية المرأة أو انهاض العامل نصب أعينهم ، ولاريب أن هذا التواصل والتجاوب بين الأدباء والمجتمع واعتماد الأدباء على جمهور القراء دون هبات النبلاء أساس نمو القصة التي تصف المجتمع وتحلل الأخلاق ، ولم تنشأ القصة الحديثة في أوروبا في القرن الثامن عشر إلا بقيام ذلك التواصل والتجاوب بين الأدب والمجتمع ، وكانت الطباعة التي سهلت انتشار الكتابات مساعدة لذلك ولاريب

وأما مكانة الشعر المتأخرة لدى العرب — والتي لعل لم ينلها لدى أمة أخرى — فإنها ثبتت ماعدا الشعر من صور الأدب فقد كان الشعر لدى العرب هو الوسيلة للتعبير عن العواطف قبل كل وسيلة ، فصرهم شديد اعتدادم به وتوفرهم عليه عما عداه ، وأودعوه عواطفهم وأخبارهم وقصصهم ، فلو أن الشعر ترك مجالاً لغيره لاحتمل أن يلجأ أديب كأبي نواس الى القصص بودعه أبناء لهوه ووقائع غرامه ويشرح فيه ما سبر من غور العواطف وبلا من سريرة المرأة سادلاً على شخصيته متاراً رقى أو كسف ، ولربما كان منه في العربية نظير لموباسان في الفرنسية ، ولكن الشعر

## خصومة

للأستاذ توفيق الحكيم

بعثت إليه أول النهار بالرسالة التي سماها «باقية على الدهر» ثم أويت آخر النهار الى بيتي فوجدت اسطوانات «بيتهمفن» التي استعارها مني قد ردها الى ، فعلمت أنها القطيعة . فوقفت واجماً في مكاني وزالت آثار الغضب ولم يبق في نفسي الا ألم عميق : لقد انتهى كل شيء بيني وبين الدكتور طه حسين . . ولم أستطع أن أقرأ شيئاً في ليلتي ، وما أنت أقبل الصبح حتى أوفدت الى الدكتور طه حسين صديقين كريمين يحادثانه في أمر الرسالة ، فاذا به قد دفعها الى المطبعة ، واذا به يأبى الا أن يعلن الخصومة الى الناس . وحاول الصديقان عبثاً أن يحولا بينه وبين هذا الاعلان . وحاولا عبثاً أن يقتناه ببقاء الخصومة سرّاً بيننا حتى يمرض أمرها على الأستاذ الجليل لطفى السيد بك . وكلانا ولده وهو أولى من جمع بين القلوب النافرة لو كان الى ذلك سبيلاً . لكن الدكتور طه أراد أن ينتقم فتناول القلم ووضع قصة روى فيها ما كان من أمرى وأمره

قرأت القصة فدهشت . أى روعة وأى ابداع ! إنها في ذاتها أثر من آثار الفن الخالد ، لى أشهد أنها عمل فى عظيم . فيها من سعة الخيال وروعة الأسلوب ما يضمن لها البقاء . إنها هى التى سبق على الدهر

لقد أعجبت حقيقة بهذه القصة اعجاباً شديداً . وهى عندى من أقوى ما كتب الدكتور . ولقد أنسى إطارها الأدبى ما احتوته

كانت الصور الأوربية وحياً لوردزورث وتيسون وغيرها ، أو كما كانت صور الأطلال الفارسية وحياً لسينية البحرى ؟ لن ننظر بشيء من ذلك إذا طلبناه ، ولن يسنا إلا الاقرار بالحقيقة التى تطالع قارىء تاريخ العرب وأدبهم : وهى أن العرب كادوا أن يكونوا أمة ذات فن واحد هو الأدب وبخاصة الشعر الذى استوعب ملكات جل نوابغهم واحتوى دراسات جل مثقفهم ذلك بأن العرب كانوا منذ جاهليتهم أمة لسان وبيان .  
فمرى أمر السعور

كان كما تقدم هو الوسيلة للتعبير عن العواطف قبل كل وسيلة ، فلم يتردد أبو نراس في سؤوك البيل التى سلكها ابن أبي ربيعة من قبله ، سبيل الشعر القصصى أو القصص المنظوم شعراً

إن الناظر في أدب العرب وتاريخهم لا يسهه إلا أن يرى هذه الحقيقة بارزة : حقيقة أن الشعر نال من المنزلة عندهم ما لم يبلغ عند سواهم حتى طغى على مادونه من ضروب الأدب ، وأن الأدب على إطلاقه بلغ لديهم مكانة طغى بها على ما عداه من الفنون وصنع ثقافتهم بصيغته — برغم بعده عن معالجة الحالة السياسية والاجتماعية فكان كاتبهم في التاريخ وتقويم البلدان وغيرهما من العلوم يتحدث عن الأدباء ويرجع الى محفوظه من الأدب ، وكم من أعلام للشعر العربى لو كان التصوير والنحت راغبين لدى العرب رواج الأدب والشعر لا نصر فوا إليها دونه أو لمارسها معه

ولقد كتب الأستاذ الفاضل محمود خيرت في الرسالة أخيراً يثبت وجود التصوير لدى العرب فلم يبعد أن أثبت أنه كان في حالة أولية لا يفتخر بها ولا ينتبط : فان الفن الذى لا ترى له باقية ولا يمكنه أثرى أدب اللغة وكتبا ، ولا يتوصل الى ثبات وجوده إلا بشذرة شاردة في صحيفة من كتاب ، لا يكون فنا قد نال حظاً من الرقى وخالط نفوس الأمة واستدعى اهتمام مثقفها ، والحكاية التى رواها الأستاذ عن القريرى تشهد بذلك ، حكاية المصورين اللذين رسما صورتين إحداها كأنها داخله فى الحائط والأخرى كأنها خارجة منه : فان تقاخر الرجلين بهذا العمل الضئيل ودهش الوزير له وإسباغه عليها المن من أجله ووقع القصة من نفس المؤرخ حتى أثبتتها فى كتابه ، كل ذلك لا يدل على إرتقاء الفن فى ذلك العصر بل يدل على كونه فى حالة بدئية ، وعلى ندرة المصورين المجيدين بل المتوسطى الحظ من الاجادة ، وكلام المؤرخ كله يدل على أن التصوير الذى عرف لذلك العهد يمد الصنعة ذات النرض العملى التى يزاولها الصنّاع كما يزاولون النقش والطلاء ، ولم يرق الى مرتبة الفن الخالص المنزه عن الأغراض العملية

إن صور المدارس الايطالية والهولندية وغيرها منتشرة فى الأقطار تملأ التاحف وتحدثت عن نفسها وعن رقى الفن عند أهلها قبل أن تحدثنا عن ذلك مئات الكتب التى ألقت فيها ، فإين آثار مصورى العرب التى تحدثنا عن مثل ذلك ؟ بل أين الكتب المؤلفة فيها ؟ بل أين الصور العربية التى كانت وحياً لشراء العربية كما